بسم الله الرحمن الرحيم

يَقَظَةُ الضَّمِيرِ الْإِنْسَانِيّ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَى وَمَنَعَ، وَخَفَضَ وَرَفَعَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَنَاصِرًا لِلضُّعَفَاءِ وَالْمَظْلُومِينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

اتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ، وَامْتَثِلُوا أَوَامِرَهُ وَلَا تَعْصُوهُ، وَاذْكُرُوهُ وَلَا تَنْسَوهُ، وَاعْلَمُوا أَنْ لَا نُهُوضَ بِمَفْهُومِ الْمُجْتَمَعِ إِلَّا مِنْ خِلَالِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ أَفْرَادِهِ، بِهِ يَلْجَأُ الْإِنْسَانُ إِلَى أَخِيهِ الْإِنْسَانِ، وَيَجِدُ عِنْدَهُ السَّنَدَ وَالْعَوْنَ، وَيَطْمَئِنُّ عَلَى حَالِهِ وَمَالِهِ، وَبِالتَّعَاوُنِ وَالتَّضَامُنِ لَا يَكُونُ الْأَفْرَادُ مُتَقَطِّعِينَ بِلَا صِلَاتٍ، أَوْ مُنْقَطِعِينَ بِلَا تَوَاصُلٍ، وَعَلَى وَجْهٍ ضَرُورِيٍّ فِي أَوْقَاتِ الْأَزَمَاتِ وَالصُّعُوبَاتِ، وَعِنْدَ وُقُوعِ الظُّلْمِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى أَخِيهِ، وَإِنَّ أَضْعَفَ مَوَاقِفِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَنْ يَتَخَلَّى الْإِنْسَانُ عَنْ نُصْرَةِ مَظْلُومٍ أَوْ مَعُونَةِ مُحْتَاجٍ، قَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فِي تِبْيَانِ تَجَلِّي التَّعَاوُنِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَقِيَامِهِم بِحُقُوقِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

وَإِنَّ مِنْ صُوَرِ التَّعَاوُنِ الْإِنْفَاقَ فِي نُصْرَةِ الْمَظْلُومِينَ وَالدَّعْوَةَ إِلَى رَفْعِ الظُّلْمِ عَنْهُمْ، قَالَ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٣].

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْبَشَرِيَّةَ الْيَوْمَ بِحَاجَةٍ إِلَى يَقَظَةٍ لِلضَّمِيرِ الْإِنْسَانِيِّ، لِيَسْتَجِيبَ لِنِدَاءِ الْفِطْرَةِ، وَيَأْخُذَ بِالْأَخْلَاقِ

(١) سورة الحشر:٩.
(٢) سورة سبأ: ٣٩.
(٣) سورة البقرة: ٢٧٢.

النَّبِيلَةِ، وَيَرَى فِي أَخِيهِ الْإِنْسَانِ مَوْطِنًا لِلرَّحْمَةِ وَالتَّعَاطُفِ، وَأَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُسْتَعِدًّا لِلتَّفْكِيرِ وَالتَّصَرُّفِ بِطَرِيقَةٍ مَسْؤُولَةٍ تِجَاهَ الْآخَرِينَ وَالْعَالَمِ مِنْ حَوْلِهِ. إِنَّ يَقَظَةَ الضَّمِيرِ الْإِنْسَانِيِّ تَعْنِي أَنْ نَكُونَ إِنْسَانِيِّينَ فِي مُرَاعَاةِ حُقُوقِ الآخَرِينَ، وَأَنْ نُعَامِلَهُمْ بِكَرَامَةٍ وَعَدْلٍ، مُدْرِكِينَ لِلظُّلْمِ وَالظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ الَّتِي يُوَاجِهُهَا الْآخَرُونَ مَعَ السَّعْيِ الجَادِّ وَالْحَثِيثِ إِلى مُسَاعَدَتِهِمْ وَإِحْدَاثِ تَغْيِيرٍ إِيجَابِيٍّ فِي الْعَالَمِ؛ انْطِلاقًا مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2].

لَقَدْ ضَعُفَ فِي الْبَشَرِيَّةِ مَفْهُومُ الرَّحْمَةِ وَالتَّرَاحُمِ، فِي المُعَامَلاتِ وَالْعَلاقَاتِ، وَضَعُفَ بِسَبَبِ ذَلِكَ الاحْتِكَامُ إِلَى مَنْطِقِ الْحِوَارِ وَالْحِكْمَةِ، وَاسْتُبْدِلَ بِالرَّحْمَةِ الْعُنْفُ، وَبِالتَّرَاحُمِ الصِّدَامُ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ الْأَطْفَالُ كَذلِكَ؛ فَأَصَابَهُمُ الظُّلْمُ وَالْقَهْرُ، وَالْعُنْفُ وَالْعَنَتُ وَالتَّهْجِيرُ، وَمَا تَتَنَاقَلُهُ وَكَالَاتُ الْأَنْبَاءِ مِنْ صُوَرِ الاعْتِدَاءِ عَلَى الْأَطْفَالِ وَقَتْلِهِمْ وَإِيذَائِهِمْ مَشَاهِدُ يَتَقَطَّعُ لَها نِيَاطُ الْقَلْبِ وَيَسْتَدِرُّ بِها الدَّمْعُ، وَتَدْعُو إِلَى الْأَسَى، وَتُثْبِتُ قَسْوَةَ الْإِنْسَانِ وَتَوَحُّشَهُ، وَالاغْتِرَارَ بِالْقُوَّةِ، وَالْإِسْرَافَ فِي الْقَتْلِ. وَمَا كَانَ عَاقِبَةُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا الْحِرْمَانَ مِنَ الرَّحْمَةِ الَّتِي انْسَلَخَ مِنْهَا، وَوُقُوعَهُ فِي دَائِرَةِ الْغَضَبِ الْإِلَهِيِّ، فَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3].

فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾[4].

إِنَّ الاعْتِدَاءَ عَلَى النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ، وَهُوَ جُرْمٌ عَظِيمٌ، وَوَبَالٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ وَالبَشَرِيَّةِ بِأَسْرِهَا؛ فَكَيْفَ إِنِ اقْتَرَنَ الظُّلْمُ بِالْقَتْلِ، وَالتَّهْجِيرُ بِالتَّفْجِيرِ! فَفِي مِيزَانِ اللَّهِ الْعَادِلِ أَنَّ قَتْلَ نَفْسٍ بَرِيئَةٍ وَاحِدَةٍ يُعَادِلُ قَتْلَ النَّاسِ كُلِّهِمْ؛ تَعْظِيمًا لِلنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ وَتَحْرِيمَ الاعْتِدَاءِ عَلَيْهَا، وَإِزْهَاقِ رُوحِهَا ظُلْمًا

(١) سورة المائدة: ٣٢
(٢) سورة الأنعام: ١٥١
(٣) سورة القصص: ٤
(٤) سورة الأعراف:١٣٧

وَعُدْوَانًا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[2].

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الْحَمْدُ لِلَّهِ، بِلُطْفِهِ تَنْكَشِفُ الشَّدَائِدُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا ونَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ السَّادَةِ الطَّاهِرِين، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الغُرِّ الْمَيَامِينِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ اسْتِمْرَارَ الظُّلْمِ فِي أَرْضِ الْأَقْصَى الْمُبَارَكَةِ، مِنْ حَرْبٍ آثِمَةٍ، وَقَصْفٍ لِلْبُيُوتِ عَلَى أَهْلِهَا، وَنَشْرِ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ بَيْنَ الْأَبْرِيَاءِ، جَرَائِمُ تُهَدِّدُ اسْتِقْرَارَ الْإِنْسَانِيَّةِ كُلِّهَا، وَتَسْتَدْعِي الْعَمَلَ مَعًا مِنْ أَجْلِ إِيقَاظِ الضَّمِيرِ الإِنْسَانِيِّ، وَصُنْعِ الْمُبَادَرَاتِ الْفَاعِلَةِ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ آثَارِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَالضَّغْطِ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الدَّوْلِيِّ لِلْقِيَامِ بِوَاجِبِهِ فِي حِمَايَةِ الْأَبْرِيَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ، وَأَنْ يَقُومَ بِدَوْرِهِ فِي بِنَاءِ عَالَمٍ أَكْثَرَ عَدْلًا وَإِنْسَانِيَّةً.

وَإِنَّ الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَيْسَ وَاجِبًا إِنْسَانِيًّا فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ اسْتِجَابَةٌ أَيْضًا لِلْقِيَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ بِالْوَحْدَةِ وَالتَّضَامُنِ إِلَى جَانِبِ الْمَظْلُومِينَ وَبِنَاءِ مَنْظُومَةٍ عَالَمِيَّةٍ قِوَامُهَا الْعَدْلُ وَالْأَخْلَاقُ وَالتَّعَارُفُ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ الْحَقُّ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[3].

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ؛ مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ:

(١) سورة المائدة: ٣٢
(٢) سورة النساء:٩٣.
(٣) سورة الحجرات: ١٣.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[1].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لإِخْوَانِنَا فِي أَرْضِ الأَقْصَى المُبَارَكِ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) سورة الأحزاب: ٥٦.